- **(محاضرة 6) مراحل الاكتساب اللغوي:**

تشير معظم الآراء إلى أن نمو اللغة كأي جانب سلوكي آخر يسير وفق مراحل مختلفة ترتبط الواحدة بالأخرى، حيث لم يعد بالإمكان وصف أي مرحلة من المراحل بشكل منفصل عن المراحل السابقة لها. وفي ذلك يرى بياجيه أن النمو بمثابة سلسلة متصلة الحلقات تمثل كل مرحلة فيها امتدادًا للمرحلة السابقة لها وأيضًا تمهيدًا للمرحلة اللاحقة. وتمر اللغة بعدة مراحل إلى أن تصل إلى شكلها المألوف الذي يتيح للفرد استعمالها كأداة للتعبير والاتصال، وهي تعتمد في نموها على مدى نضج وتدريب الأجهزة الصوتية. وعلى مستوى التوافق العقلي والحركي والحسي الذي تقوم عليه المهارة اللغوية وخاصة في بدء تكوينها. فالطفل يكون متهيئًا للكلام عندما تكون أعضاؤه الكلامية ومراكزه العصبية قد بلغت درجة كافية من النضج. كما يجب أن يتمكن الأطفال من الوظائف الأساسية في تعلم الكلام مثل: الاستيعاب والنطق وبناء المفردات وتكوين الجمل.[1]

وقد أثبتت "تشايلد" أن عدد الأخطاء في كلام الطفل يتناقص تدريجيًا مع تقدمه في النضج. وتدل الأبحاث الحديثة على أن الأجهزة الصوتية المختلفة كعضلات الفم واللسان والحنجرة تصل في نموها إلى المستوى الذي يمكنها من أداء وظيفتها قبل الميلاد. ويذهب جريجواز Gerigwaz إلى أن الطفل وهو جنين يتأثر بشتى النغمات الانفعالية للغة الأم، يكون ذلك بدء تأثره باللغة. ويمر جميع أطفال العالم بنفس المراحل المتتابعة في النمو اللغوي، ولا تختلف هذه المراحل مهما كانت اللغات التي يكتسبها الطفل من البيئة. وتتدرج مراحل النمو اللغوي كما يتدرج الطفل في نواحي نموه المختلفة.[2]

- ✓ **مراحل النمو اللغوي:**

- **أولًا: مرحلة الاستجابات المنعكسة:**[3]

أ- **صيحة الميلاد:** تبدأ مظاهر الحياة عند الطفل المولود حديثًا بصرخة الميلاد الناتجة عن اندفاع الهواء إلى الرئتين بقوة عبر حنجرته فتهتز أوتارها، وهكذا تبدأ الحياة بمنعكس يعتمد في استثارته على دخول الهواء إلى الرئتين. وهذه الصيحة سببها فسيولوجي محض، وهي أول ظاهرة من ظواهر اللغة الإنسانية، ولهذه الصيحة أثر فعال في فتح المجال الهوائي لجهاز النطق عند الطفل.

---

[1] علم نفس النمو: عادل عز الدين الأشول، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1996، ص:158.

[2] المرجع نفسه، ص:158.

[3] المرجع نفسه، ص:158، 159.

ب- **الصراخ والأصوات**: تتطور صيحة الميلاد إلى صراخ لتعبر عن حالة الطفل الانفعالية ورغباته بعد ساعات أو أيام من ولادته. ويبدأ الوليد باستعمال البكاء لإرسال التبليغات إلى الآخرين. وقد وجد ووف Wooff، أن الطفل بعد الأسابيع الأولى من حياته يطلق ثلاثة أنواع من البكاء هي: الصرخة الإيقاعية، وهو البكاء المنغم في مقاطع، بكاء الألم، وتعبر هذه الأصوات عن حالة الطفل، فالصرخة الإيقاعية الترتيبية المتقطعة تدل على الضيق، والصرخة الحادة تدل على الألم.

ج- **مرحلة الضحك**: وتبدأ هذه المرحلة في الظهور من الشهر الثاني من عمر الطفل، كما يبدأ الابتسام بشكل فطري مبكر عند جميع الأطفال بصفة عامة، ويظل هذا الابتسام فعلًا فرديًا حتى الشهر الثالث حيث يبدأ الدور الاجتماعي للابتسام عندما يبدأ عمل المحاكاة.

- **ثانيًا: مرحلة المناغاة:**

المناغاة صوت أو مجموعة أصوات تصدر عن الطفل في الأسبوع الثالث وتستمر حتى نهاية السنة الأولى عندما ينطق الطفل كلمته الأولى. وتظهر المناغاة عندما تصبح المراكز العليا صالحة للتوافق مع العضلات اللفظية، ويصبح الطفل قادرًا على اللغة اللفظية فيتمرن على السيطرة على الأصوات واجدًا فيها لذته. والمناغاة شكل من أشكال الترويض اللفظي التلقائي.[1]

- **ثالثًا: مرحلة التقليد والاستجابات اللغوية:**

تبدأ هذه المرحلة عند العاديين من الأطفال في أواخر السنة الأولى أو أوائل الثانية، وتنتهي في الخامسة أو السادسة أو السابعة، وأما الأطفال غير العاديين من الناحية اللغوية فقد لا تبدأ لديهم إلا في أواخر الثانية أو أوائل الثالثة، ويتأخر تبعًا لذلك موعد انتهاءها. وعند بعض الشواذ من الأطفال لا تبدأ إلا في سن متأخرة جدًا، وقد تبدأ في حالات نادرة في سن مبكرة جدًا.[2]

وتعد المحاكاة من العوامل المهمة في تعلم اللغة، وبذلك يتسم الأطفال بفروق واضحة عن غيرهم من حيث القدرة على إخراج الأصوات، ويبدأ الأطفال الأسوياء في نهاية السنة الأولى بإخراج أصوات بعضها شبيهة بالكلمات التي ينطق بها الكبار المحيطون بهم. ويؤكد الكثير من الباحثين بأن بزوغ فترة المحاكاة يكون غالبًا في الربع الأخير من السنة الأولى.[3]

---

[1] علم نفس النمو، ص:161.

[2] المرجع نفسه، ص:164.

[3] المرجع نفسه، ص:164.

- **رابعًا: مرحلة الكلام:**

قبل أن يكون الطفل مستعدًا لأن ينطق كلمته الأولى عليه أن ينجز مرحلة طويلة من النمو والتعلم. وقد أشار بترفيليد Butterfield إلى قدرة الطفل على الانتباه للصوت بعد 24 ساعة من ولادته، ولكن غالبًا ما يمر عام كامل على ولادته قبل أن ينطق كلمته الأولى، وذلك لأن السيطرة على أجهزة النطق أصعب من إجراء التميزات السمعية، وقد لوحظ أن أصوات المناغاة التي يطلقها الطفل تشكل عينة من أصوات الكلام كافة. وينتقل الطفل في هذه المرحلة اللغوية إلى مرحلة نطق الكلمة الأولى غير أنه من الصعب تحديد موعد نطقه هذه الكلمة الأولى والتي يكون لها معنى، إذ في بدء ظهور الكلمة الأولى في لغة الطفل باقترانها بمدلولها اقترانًا صحيحًا واضحًا يسهل لأي فرد أن يدركها. ومعظم الأطفال لا يستطيعون نطق الكلمة الأولى قبل عامهم الأول. وتدل أبحاث **سميث** Smith أن المحصول اللفظي فيما بين السنة الأولى والثانية يبدأ بطيئًا ثم يزداد بنسبة كبيرة تخضع في جوهرها لعمر الطفل ومظاهر النمو الأخرى كالنمو الحركي والاجتماعي.

وأهم سمات كلمات الطفل خلال هذه المرحلة أنها تعبر عما يجري حوله، وبنمو قدرات الطفل وبنمو مفرداته يستطيع التحدث عن الماضي والمستقبل، كما أن الكلمات الأولى تكون قصيرة تتألف من مقطع أو مقطعين، وأن أول ما يتعلمه الطفل وينظمه في كلامه في هذه المرحلة ليس الأصوات المفردة أو الكلمات بل المقاطع.[1]

- **خامسًا: نمو مفردات الطفل:**

توضع أسس الكلام في سني المهد وتزداد مفردات الطفل بسرعة في مرحلة ما قبل المدرسة، ويرجع ذلك إلى التعلم المباشر من ناحية، وإلى فضول الطفل، وحب استطلاعه لمعرفة معاني الكلمات من ناحية أخرى، مما يقوده، لأن يسأل عن معانيها، وبازديادها استخدام الطفل لها، وقد تباينت نتائج الدراسات بخصوص حجم مفردات الأطفال اللغوية تبعًا للعمر، وقد يرجع ذلك إلى الفروق الحضارية أو طبيعة اللغة أو إلى عوامل أخرى.[2]

---

[1] علم نفس النمو، ص:172.

[2] المرجع نفسه، ص:174.

✓ **طرق اكتساب اللغة:**

يرى الدكتور **عبد الله الدنّان** ؟[1] أنّ اللغةَ تُحَصَّل بطَريقتَين:

1- **طريقةُ الاكتساب الفِطْري**: يولدُ الطفلُ وفي دماغه قُدرَةٌ هائلةٌ على اكتساب اللُّغات، من الولادَة وحتى السنة السادسة من عُمره، يولدُ الطفلُ وفي دماغه منطقَةٌ خاصَّةٌ باللُّغَة، تتلقَّى هذه المنطقَةُ عبرَ الأُذُن الذَّبذَبات الصوتيَّة (أصوات، كلام..) وتبدأ بتنظيمها (أرشَفتها)، واكتشاف دَلالاتها، واكتشاف الرَّوابط فيما بينها. ويسمي العلماء جزء الدماغ المسؤول عن هذه العملية:"جهاز اكتشاف اللغة"، وإن هذه القُدرَة هي التي تُمكِّن الطفلَ من كشف القَواعد اللغويَّة كشفًا ذاتيًّا، ثم تمكِّنه من مُحاكاتها وإنتاجها، وهو ما يُثمر في المستقبَل إتقانَ هذه اللغة (أيًّا كانت)، وهذه القُدرَة تُمكِّنُه من إتقان ثَلاث لغاتٍ إلى خَمس لغاتٍ في آن معًا. وتبدأُ هذه القُدرَة بالتَّراجُع والضُّمور في سنِّ السادسة، وتبدأُ برمجةُ الدِّماغ تتغيَّر بيولوجيًّا من تعلُّم اللغات إلى تعلُّم المعرفَة. يرى د.الدنَّان من تجارِبه أن هذه القُدرَةَ يمكنُ تنشيطُها في المرحلة الابتدائيَّة الأُولى من (6- 9) سنوات، بممارسة التحدُّث مع الطفل باللغة الهَدَف، ليكتشفَ قواعدَها، ويتقنَ إنتاجَها، بلا دراسَةٍ لقواعدها بالطَّرائق التقليديَّة.

2- **الطَّريقةُ المعرفيَّة**: (من بعد السادسة) تكون بالتعلُّم وحفظ القواعد وأمثلتها حِفظًا وَصْفيًّا، لا اكتِسابًا سَليقيًّا، وذلك بالترجَمة إلى اللغَة الأُولى الأم.[2]

أما الفرق بين الطريقتين، فهو كالتالي:[3]

- الطريقة الأولى الفطرية تسمَّى اللغةُ المكتسبةُ بها: (اللغة الأم)، في حين اللغة المحصَّلة بعد سنِّ السادسة لا يمكن أن توصفَ بهذه الصفة.
- الطريقة الأولى تُكتسَب اللغة بها دون تعب ولا نصب، في حين لا تحصَّل بالطريقة الثانية إلا ببذل جهد كبير.

---

[1] عبد الله الدنان : باحث لغوي وروائي شاعر، ولد في فلسطين عام 1931، ومقيم في سورية منذ عام 1948، درس في جامعة لندن وحصل على الماجستير في التربية والدكتوراه في العلوم اللغوية. أمضى أكثر من ستين عاماً في التربية معلماً ومدرساً وأستاذاً جامعياً. صاحب نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة التي تهدف إلى القضاء على الضعف العام باللغة العربية في الوطن العربي.

[2] انظر الرابط التالي: http://www.alukah.net/، طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية): أ. أيمن بن أحمد ذوالغنى.

[3] انظر الرابط نفسه.

- في الأولى تمتزج اللغة بالعواطف، فهي التي ينفِّس بها عن غضبه، ويبثُّ بها لواعجَ شوقه وحبه وحنينه. أما اللغة الثانية فتبقى في المكان الثاني من حيثُ التعبير العاطفي.
- الأولى يكون إتقان اللغة بها كاملاً تامًّا، على حين يظلُّ ثَمَةَ نقص في اللغة المحصَّلة بالطريقة الثانية.
- الإحساس بجمال اللغة واستشعار بلاغتها وحلاوتها يكون باللغة الأم تلقائيًّا، أما في اللغة المتلقَّاة بالطريقة الثانية فيحتاج التعمق في نصوصها إلى شرح وتحليل يفقدها كثيرًا من قيمتها.
- اللغة المكتسبة بالطريقة الأولى تتشرَّبها نفس الطفل في أثناء اللعب وممارسة النشاطات الأخرى، في حين يتطلب تعلُّم اللغة بالطريقة الثانية زمنًا خاصًّا يفرَّغ فيه الطفل للتعلُّم.
- تتدخَّل اللغة الأولى على نحو سلبيٍّ في عملية تعلُّم اللغة بالطريقة الثانية، في مجالات التراكيب اللغوية، والمفاهيم المعرفية.
- الطريقة الأولى تمكِّن الطفل من اكتساب أكثر من لغةٍ في آنٍ واحدٍ، دون تعب، مع إتقان اللغات جميعًا إتقانًا تامًّا، على حين يعسُر على الطفل بعد السادسة تعلُّم أكثر من لغةٍ في آنٍ واحدٍ.
- **الحل الذي يقدِّمه د. الدنَّان:**

لما كان الطفل في مَرحلَة الاكتساب الفِطريّ للغة قادرًا على اكتساب أكثر من لغة، فإن الحلَّ لمشكلة التعليم يتجلَّى في إكسابِ أطفالنا اللغةَ الفُصحى لغةَ المعرفَة والتعليم والكتاب قبل دخول المدرسة، إلى جنب عاميتهم التي يتواصلون بها مع محيطهم. وقد بدأ د.الدنَّان تجريبَ هذه الفكرة على ولَده باسل (من مواليد 1977م)، يتواصَلُ معه بالفُصحى دائمًا، وسائرُ أفراد الأُسرة بالعاميَّة... وحينَ بلغَ باسلٌ سنَّ الثالثة، كان يتحدَّثُ الفُصحى بطَلاقَة، مع إتقانه للعاميَّة. (...) ثم كرَّر د.الدنَّان التجرِبَةَ مع ابنتِه لونَة (تصغرُ باسلاً بأربعة أعوام)، ونجحَت أيضًا نَجاحًا باهرًا. ومن أعظم ما استفاده باسل وأخته من إلف العربية وإتقان الفصحى: تعلقهما الشديد بالكتاب والقراءة، وقد بلغَ ما قرأه باسل في الصفِّ الثاني الابتدائي أكثرَ من 350 كتاب من كتب الأطفال.[1]

[1] انظر الرابط التالي: http://www.alukah.net/، طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية): أ. أيمن بن أحمد ذوالغنى.

- **من التطبيق الفرديّ إلى الجماعي:**

بعد نَجاح التَّجرِبَة انتقَلَ الدكتور الدنَّان إلى التطبيق الجَماعيّ في رياض الأطفال، فأسس في عام 1988م بالكويت دارَ الحَضانَة العربيَّة، درَّب جميعَ المعلمين فيها على الحديث بالفصحى المعربة، واعتُمدَت لغةً وحيدةً للتواصُل طَوالَ اليوم الدراسيّ، داخلَ الفُصول وخارجَها. وفي عام 1992م أسَّسَ بدمشقَ روضةَ الأزهار العربيَّة، وطبَّق فيها طريقته نفسها، وقد نجحت الفكرةُ نجاحًا عظيمًا فاقَ التوقُّعات، واستطاعَ الأطفالُ إتقانَ الفُصحى والعاميَّة معًا، وكلُّ من يتخرَّجُ في هذه الرَّوضة يصبحُ صديقًا للكتاب.[1]

ثم كتب الله لهذه النظرية القَبول والرضا فانتشرت في عدد من البلاد العربية، على ما سيأتي، وشرع في تطبيقها عدد من الأفراد على أبنائهم في البيوت، ناسجين على نول أستاذهم رائد الفكرة، وكنت بفضل الله من أول من طبَّق النظرية على أولاده؛ إذ بدأت فيها مع ولدي أحمد مذ كان جنينًا في رحم أمه في شهره الخامس، وواظبت على ذلك حتى ولادته بتاريخ السادس من ربيع الأول 1419هـ، الموافق لـ 30/ 6/ 1998م، وما زلت مستمرًّا بالتواصل معه بالفصحى، وقد نجح التطبيق نجاحًا بيِّنًا عظيمًا، وأتقن أحمد الفصحى إتقانًا تامًّا بالسليقة والفطرة، مع اكتسابه عددًا من العاميَّات من بيئته ومحيطه، وهي العامية الشاميَّة والسعودية والمصرية، وأثمرت بكرم الله هذه التجربة فوق ما كنت أتوقع وأؤمِّل من ثمار.[2]

---

[1] انظر الرابط التالي: http://www.alukah.net/، طريقة د. عبدالله الدنان (سبيلنا إلى نهضة علمية وتعليمية راقية): أ. أيمن بن أحمد ذوالغنى.

[2] انظر الرابط نفسه.